حرف الراء

ما خالد بخالد

قال عند خروجه إلى ديار بني زبيد في طلب رأس خالد بن محارب:

[البسيط]

أطْـوِي فَـيـافـي الـفَـلا وَالـلّـيْـلُ مُـعْـتَـكِـرُ
وَأقْـطَـعُ الـبـيـدَ وَالـرَّمْـضَـاءُ تَـسْـتَـعِـرُ(١)
وَلا أرَى مُـؤنِـسـاً غَـيـرَ الـحُـسَـام وَإنْ
قَـلّ الأعـادي غَـداةَ الـرَّوْع أوْ كَـثُـروا(٢)
فَـحـاذِري يـا سِـبَـاعَ الـبَـرّ مِـنْ رَجُـلٍ
إذا انْـتَـضـى سَـيْـفَـهُ لا يَـنْـفَـعُ الـحَـذرُ(٣)
وَرافَـقَـيـنـي تَـرَيْ هـامـاً مُـفَـلَّـقَـةً،
وَالـطَّـيـرَ عـاكِـفَـةً تُـمْـسـي وَتَـبْـتَـكِـرُ(٤)

(١)، (٢) الفيافي: القفار والمفازات لا ماء فيها. الرمضاء: الأرض الشديدة الحرّ. تستعر: تلتهب. يقطع الشاعر المسافات الشاسعة في الأرض القفراء ولا يزال الليل في الهزيع الأخير، وهو على هذا المنوال ولا يزال يطوي المسافات في الأرض الملتهبة والشمس في كبد السماء، منفرداً حيث لا أنيس يهوّن معه المسير سوى سيف يقطع الأوساط، وسواء قل الأعداء أو كثروا في الحرب.
(٣)، (٤) يُحذّر الشاعر الوحوش الضارية من بطشه في حال جرد سيفه، فهناك =

مـا خـالـدٌ بـعـدَمـا قَـدْ سِـرْتُ طـالـبَـهُ
بـخـالـدٍ لا وَلا الـجَـيـداءُ تَـفْـتَـخِـرُ[١]
وَلا دِيـارُهُـمُ بـالأهْـلِ آنِـسَـةٌ،
يَـأوِي الـغُـرَابُ بـهـا وَالـذِّئْـبُ وَالـنَّـمِـرُ[٢]
يـا عَـبْـلَ! يُـهْـنـئـكِ مـا يـأتـيـكِ مـن نَـعَـمٍ
إذا رَمـانـي عَـلـى أعْـدائـكِ الـقَـدَرُ[٣]
يـا مـن رَمـتْ مُـهـجـتـي مـن نَـبْـل مُـقـلـتـهـا
بـأسْـهُـمٍ قَـاتِـلاتٍ بُـرْؤهَـا عَـسِـرُ[٤]
نَـعـيـمُ وَصْـلِـكِ جَـنّـاتٌ مُـزَخْـرَفَـةٌ؛
وَنـارُ هَـجْـرِكِ لا تُـبْـقـي وَلا تَـذَرُ[٥]

= لا ينفع الندم، ولا حامي من فتكاته، وهو يطلب منها مرافقته، ففي ذلك نفعها؛ فالطير تُصاحبه ليل نهار على أمل أن تجد حظّها من الفرائس من ضحاياه.

(١)، (٢) إن الشاعر يقصد خالد بن محارب، فهو بالنسبة إليه يُعتبر من الهالكين، لذا على الجيداء أن تبكيه لا أن تفتخر بشجاعته وقوّته، حتى إن ديارهم ستخلو من ساكنيها ويعمّها الخراب والموت فتصبح مسرحاً للوحوش الكواسر والغربان.

(٣)، (٤) يخاطب الشاعر عبلة متمنّياً لها نعيماً بما سيرسله لها من الغنائم في حال قدّر له أن يطلب أعداءها ليخلّصها منهم، فتنعم برفده من العطاء؛ وأنت من سدّد لي سِهاماً قاتلات أصابت قلباً خالياً فملكته وتركته يعاني مرضاً لا طبيب له.

(٥) إن وصل الحبيبة نعمة سماوية وهي نعيم خالد فيه شتّى ألوان الحبّ صافية لا يكدّرها مكدّر. أما هجرها فنار لاهبة تحرق كلّ شيء فتقضي عليه.

سَقَتْكَ، يا عَلَمَ السّعْديّ! غادِيَةٌ
مِنَ السّحابِ وَرَوّى رَبْعَكَ المَطَرُ[١]
كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ قَطَعْنا فيك صَالِحةٍ
رَغيدَةٍ صَفْوُها ما شابَهُ كَدَرُ[٢]
مَعَ فِتْيَةٍ تَتَعَاطى الكَأسَ مُترعةً
مِنْ خَمْرَةٍ كَلهيبِ النّارِ تَزْدهِرُ[٣]
تُديرُها مِنْ بَنَاتِ العُرْبِ جارِيَةٌ
رَشيقَةُ القدّ في أجْفانها حَوَرُ[٤]
إنْ عشتُ فهي التي ما عشتُ مالكَتي
وَإنْ أمُتْ فاللّيَالي شأنُها العِبَرُ[٥]

---

(١) يخاطب الشاعر الديار متمنياً لها ماءً غدقاً مباركاً من سحب الخير بحيث ترتوي ربوع تلك الديار بالمطر المسحّ.

(٢)، (٣) لطالما أمضى الشاعر ليالي هانئة فيها السعادة في جوّ هادئ خالٍ ممّا يُعكّر صفوها، وإلى جانبه شباب غضّ يتعاطون الشراب خمرة كأنها نار تشتعل، فإذا بالدنيا تنقلهم إلى عالم الفرح.

(٤)، (٥) الحور: هو اشتداد سواد العين واشتداد بياضها. يبدو أن قائل القصيدة لم يطلع على الحياة الجاهلية، فالجواري الساقيات لم يكنَّ من أصل عربي في حياة الصحراء، وإنما كنّ أعجميات أو من أجناس أخرى. إنها جارية رشيقة القوام، حوراء العينين تسقي من يدها خمراً ومن عينيها خمراً، تلك الجارية تملك جوارح الشاعر طوال عمره، وإن مات فتلك من شيم الليالي والأيام. لم ينتبه الشاعر إلى حبّ عنترة عبلة وتكريس حياته لها!!